# رؤية اسلامية لقضايا تربوية

الأستاذ الباحث محمد أبو عام
المملكة المغربية

**الملخص:**

- الأسرة هي المؤسسة الأولى المسؤولة عن تربية الطفل وتعليمه.
- التعاون بين البيت والمدرسة يساعد على نمو الطفل نموا سليما.
- التربية السيئة من قبل الأبوين تفسد على الطفل فطرته الطبيعة فتحرفه عن النمو السليم في مجال العقيدة.
- على المناهج المدرسية أن تهتم بالمبادئ والاتجاهات التي تعين الطالب على حسن اختيار شريكة حياته، وتبصره بالمسؤوليات الثقال المترتبة على تكوين الأسرة، ومما لا شك فيه أن هذه القضية يجب أن تحظى. باهتمام أكبر في المجتمع المسلم الذي يحث على الزواج المبكر ويرغب فيه.
- ضرورة العمل على ترجمة المبادئ التربوية إلى واقع عملي، وتفعيل المناهج المدرسية لحل مشكلات الأسرة، وتفعيل دور مجالس الآباء والمدرسين.

مرحلة الضياع المدرسي لدى الطفل لها أسباب، من أهمها:

- غياب دور الأسرة في التوجيه والنصح.
- الحرص على الطفل في المرحلة الابتدائية، واهماله بعد هذه المرحلة بدعوى أنه قادر على توجيه نفسه.
- الرفقة السيئة.
- غياب الحوار بين الأبوين والطفل.

فهم الطفل أساس لنجاح تعليمه وفهمه مرتبط بشروط منها:

- فهم بيئة الاجتماعية والعائلية
- عدم حرمانه من حقوقه الطبيعية في اللعب والمرح.
- عدم التمييز في المعاملة بينه وبين أقرانه
- أن تكون العقوبة عقوبة مربية تتوخى الاصلاح لا تدمير إحساس التلميذ بكرامته واحترامه لنفسه.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**المقدمة:**

تعرف المدرسة المغربية مجموعة من الإشكالات التربوية تتداخل فيها مجموعة من المعضلات والاكراهات والسلوكات التي تعتبر أمرا مشتركا بين الأسرة والمدرسة ومختلف مكونات المجتمع، وسيتطرق هذا البحث إلى ثلاثة قضايا تربوية أساسية قد تسهم في التخفيف من المشاكل والتحديات التي تواجه المنظومة التعليمية، وهي كالآتي:

- ✓ القضية الأولى: أوساط التربية والتدريس –البيت نموذجا–
- ✓ القضية الثانية: مرحلة الضياع المدرسي لدى الأطفال.
- ✓ القضية الثالثة: فهم المتعلم عند علماء المسلمين.

**القضية الأولى: أوساط التربية والتدريس_البيت نموذجا_**

من الأهمية بمكان أن يعيش الإنسان في أسرة يحمل أفرادها مشاعر المحبة والتعاون، ولقد اعتبر الإسلام الزواج أمراً في غاية الأهمية لأنه يتمشى مع ما غرسه رب العالمين في الإنسان من حاجات عضوية وحاجات نفسية. فقد روي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لثلاثة رهط وفدوا إليه يسألون عن عبادته بعد أن عزموا على العزوف عن ملذات الدنيا:

"أما والله إني لأخشاكم الله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1]

ورب العالمين الذي غرس في الإنسان الميل إلى الزواج، غرس فيه في الوقت ذاته حب الأبناء، فالزواج ليس متعة جسدية وحسب، بل هو بناء أسرة؛ فهذا زكريا عليه السلام يناجي ربه بعد أن بلغ من الكبر عتيا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2].

وها هي زوج إبراهيم عليه السلام تغتبط عندما بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلام عليم[3] فالذكر والأنثى مفطوران على حب الأبناء. والإسلام الذي يعتبر الأبناء زينة الحياة الدنيا يطالب في الوقت ذاته بحسن تربيتهم، إذ أن مجرد حب الوالد لولده لا يوصل الأبناء إلى الأهداف المنشودة. والإنسان المؤمن مطالب بوقاية نفسه وأهله من النار التي وقودها الناس والحجارة. وهذه الوقاية لا تتأتى إلا عندما يكون الوالد مدركاً للحقيقة فيعلمها لزوجه وأبنائه من خلال تحمله لمسؤوليته الصعبة، حيث أوضح الحديث الشريف ذلك التكليف في قوله عليه السلام: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[4].

وإذا كان الإسلام قد أقر مبدأ رعاية الوالدين للأبناء، فللمرء أن يستعين بالسبل المتعددة الموصلة إلى هذا الهدف، شريطة أن لا تتعارض هذه السبل مع مبادىء الإسلام أو تصطدم بقواعده. وانطلاقاً من هذا الموقف، فإنني أقدم في الصفحات التالية خلاصة للنتائج التي توصلت إليها بعض البحوث حول دور الوالدين في تنشئة الأبناء.

**الوالد والوالدة أول معلم للطفل"**

الوالدان هما أول من يتفاعل معهما الطفل بصورة تكاد تكون مستمرة، فهما يقدمان للطفل نماذج حية عن الحياة الإنسانية، ولذا فإن سلوك الوالدين يعتبر أحد العوامل الرئيسية المؤثرة في حياة الطفل. وهذا التأثير يبدأ منذ الأيام الأولى: أي قبل اكتساب

---

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب فب النكاح 450/8

[2] آل عمران: 38

[3] انظر الذاريات: آية 29 فأقبلت امرأته في صرة فصلت وجهها وقالت عجوز عقيم.

[4] صحيح البخاري، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن 216/3.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الوليد الإنساني اللغة والتفاهم مع الآخرين عن طريق الألفاظ فإطعام الوالدين الطفل الطعام ومداعبتهما له وحمله، امور تشعر الطفل بأهميته وبمدى تقبل من حوله لشخصيته. وبما أن الوالدين حريصان على إشباع حاجات الطفل فإنهما يسهمان في نمو الشعور بالأمن والطمأنينة عند ذلك الطفل. ثم إن الوالدين يلعبان دوراً أساسياً في تنمية القدرة على استخدام الألفاظ للدلالة على الأشياء المحيطة بالطفل. فاللغة لا تكتسب إلا من خلال المحادثة مع الآخرين ومن هنا وجب على الوالدين الإصغاء إلى الطفل وتبادل الأحاديث معه، لأن هذا يعينه على تنمية ثروته اللغوية، ويعمل على إقامة علاقات قوية مع الأشخاص المحيطين به.

وكما أن الوالدين يسهمان في تعليم الطفل الشيء الكثير، فإنهما في الوقت ذاته يتعلمان أموراً عديدة من خلال التعامل معه وملاحظة ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ومن هنا فإنه يحسن بالوالدين التعرف على القدرات الحقيقية[1]، للطفل، كي لا يضعا له من مستويات الطموح ما لا يتفق وقدراته فاعتقاد الوالدين بتدني مستوى ذكاء طفلهما ينعكس على سلوكه ، لأنه قد يؤدي بالفعل إلى الفشل حتى ولو لم تكن قدرات الطفل كذلك. فالوالدان يعلمان الطفل الثقة بالنفس أو الشك فيها، الإقبال على الحياة أو النفور منها، ومن الممارسات التي تعطي ثماراً طيبة وتعمل على نمو شخصية الأبناء نمواً سليماً: مدح الأطفال عندما يصيبون، وتنمية حب الاستطلاع لديهم، وقضاء فترة كافية معهم. ومثل هذه الممارسات تتطلب من الوالدين التحلي بالعديد من الصفات مثل الصبر، والقدرة على إدراك ما قد يواجههم، ومعرفة الحقائق المتصلة بالنمو خاصة في مرحلة الطفولة[2].

**توثيق التعاون بين البيت والمدرسة:**

تعتبر تربية الطفل هذه الأيام هدفاً مشتركاً بين البيت والمدرسة، فالآباء والمعلمون حريصون على النمو السوي للطفل في مختلف المجالات، ومع ان هذه الحقيقة تبدو واضحة للعيان، إلا أن الممارسات تبدو مخالفة لها. فالملاحظ وجود فجوة كبيرة تفصل البيت عن المدرسة، ولهذه الظاهرة أسباب عديدة منها عدم فهم المجتمع الحقيقة الدور الذي تقوم به المدرسة . فالكثير من أفراد المجتمع ينظر إليها باعتبارها مؤسسة تعليمية، لا تهتم إلا بالجانب الأكاديمي أي النظري.

ومن بين تلك الأسباب افتقار الآباء والمعلمين إلى المهارات التي يتطلبها أي جهد مشترك. فالآباء لم يتدربوا على مثل هذا العمل، أما خبرات المعلمين لمحصورة فيما يجري في حجرة التدريس وهذا الواقع لا بد من تجاوزه. فحرص الآباء على سماع أية نصيحة تتصل بتربية الأبناء، يجب أن يصحبه حرص المعلمين على نمو الأطفال نمواً سليماً قبل التحاقهم بالمدرسة، باعتبار ذلك عاملاً أساسياً في قدرتهم على التعلم عند الالتحاق بالمدرسة. ويمكن للبيت والمدرسة التعاون في إنشاء مراكز لرعاية الأطفال والعمل على تطوير المنهاج المدرسي[3].

قد تثار الشكوك حول هذه الاقتراحات نظراً لعدم دراية المسهمين فيها. وهنا تقع المسؤولية على المدرسة، فهي مطالبة بتبصير الآباء والمعلمين بالأفكار المطروحة وطبيعة الإسهامات المطلوبة من كل منهم. وهناك سبل عدة لتوثيق الصلة بين البيت والمدرسة. هذا ويمكن للآباء والمعلمين الذين يحرصون على التعاون المشترك من أجل حل مشكلات الأطفال مراعاة الأمور الآتية:

1. يتوجب على كل معلم وأب القيام بما يطلب منه بإتقان.
2. العمل المشترك يتطلب حسن الإصغاء، فليحرص كل فرد على الاستماع إلى آراء الآخرين؛ لأن في ذلك إشعاراً لهم باحترام ما يصدر عنهم من آراء.

---

[1] تربية الاولاد ، ص 56

[2] مدونة القيم في القرآن والسنة ، ص 56

[3] تأصيل تربية المعلم، ص 50.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

3. التعبير عن الآراء بوضوح أمر لا غنى عنه، إذ بدونه قد ترفض اقتراحات بناءة.
4. من المهم أن يشعر المرء من يتعامل معهم أنه قد فهم وجهة نظرهم واستوعبها، وهذا من شأنه أن يقلل من حساسيتهم نحوه، خاصة عندما لا يقبل وجهات النظر تلك.
5. ليس من المستحب أن يصر الإنسان على وجهة نظره[1].

وإذا كانت هناك أسباب متعددة لوجود فجوة بين البيت والمدرسة، فإن هناك أسباباً أكثر إلحاحاً تدعو إلى مزيد من التعاون بين الطرفين، ومن بين تلك الأسباب التغيرات الاجتماعية التي تركت بصماتها على الأسرة لقد تزايد عدد الأسر التي يعمل فيها كل من الوالدين، وهذا ما أدى إلى تناقص الوقت الذي يقضيه الطفل معهما. وإذا كان الوقت الذي يخصصه الوالدان لرعاية الطفل قد قل، فإن الحقائق المتصلة بنموه قد تزايدت وتزايد الحقائق يعني ضرورة إعطاء الوالدين وقتاً أطول لتربية الأبناء؛ لأنهما بحاجة إلى تعلم تلك الحقائق والعمل بمقتضاها. ثم إن تعقد الحياة الاجتماعية أدى إلى ظهور مشكلات جديدة أمام الأطفال، وحل المشكلات يتطلب أيضاً المزيد من الوقت ولقد عمل بعض الآباء على التهرب من هذه المشكلات عندما أوكلوا أمر تربية أطفالهم إلى دور الحضانة، أو إلى إحدى المربيات ومع أن هذا العمل لا يدل بالضرورة على عدم محبة الوالد لطفله، إلا أنه يشير بالتأكيد إلى عدم فهم حقيقة الأبوة والأمومة. فالعصر الحديث قد ألقى تبعات وأعباء جديدة على الوالدين، ويمكن للمدرسة أن تسهم في تبصيرهما بما تعرضه عليهما تربية الأبناء.

إن التعاون بين البيت والمدرسة يعطي ثماراً طيبة لكل من الطفل والمعلم والوالدين والمجتمع، فنظرة الطفل إلى الحياة أكثر تصبح واقعية وإيجابية، عندما يشاهد والده وهو يعمل مع المدرسين على إسعاده، أما المعلم فيحصل من خلال هذا التعاون على معلومات جديدة من الأطفال الذين يقوم بتدريبهم، ويستفيد الآباء لأنهم يطلعون من خلال هذا التعاون على ما يجري داخل أسوار المدرسة وهذا ما يعمق من إدراكهم للعملية التربوية، والمجتمع الذي ينتمي إليه هؤلاء الأطفال يستفيد كذلك نتيجة للتعاون بين البيت والمدرسة، لأن هذا التعاون يزود المجتمع بأفراد أسوياء محصنين ضد الأمراض والانحرافات. فحسن تربية أفراد المجتمع يجعل ذلك المجتمع أكثر انسجاماً.[2]

**سبل توثيق الصلات بين البيت والمدرسة:**

هناك العديد من السبل أو الوسائل التي يمكن اتباعها لتوثيق الصلة بين البيت والمدرسة منها:

**1.** إنشاء مراكز للحضانة هدفها العناية بالأطفال الذين لم يبلغوا من الدراسة. ويستفيد من هذه المراكز بصورة خاصة الأسر التي يخرج فيها الوالدان إلى العمل
**2.** إيجاد مكتبة غنية في المدرسة تقوم بإعارة المواد التعليمية الملائمة للأطفال، مثل الكتب والألعاب والأفلام التعليمية.
**3.** زيارات الآباء للمدرسة والاطلاع على تقدم أبنائهم في التعليم وتبادل الأحاديث مع أعضاء هيئة التدريس.
**4.** تكوين لجان مشتركة من الآباء والمعلمين تشرف على النشاطات المدرسية المتعددة، فقد تعنى إحدى اللجان بالمناهج، بينما تهتم لجنة ثانية بتحسين العلاقات بين الآباء والمعلمين ووجود تلك اللجان لا يعني بالضرورة تحقيق النتائج المرجوة منها،
**5.** الاتصال المباشر من خلال الهاتف أو تبادل الرسائل، وهذه الوسيلة تصلح للآباء الذين لا يمكنهم عملهم من الذهاب إلى المدرسة في أوقات معينة ، أو العمل ضمن لجان مشتركة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 57-58.

[2] التربية والمجتمع في العالم الاسلامي، ص 197


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**الدلالات التربوية:**

إذا كان من المسلم به القول بأن تربية الطفل تبدأ قبل إلتحاقه بدور الحضانة ورياض الأطفال، أصبح لزاماً العناية بتعليم الطفل وإيجاد صلة بين المهتمين بتربيته في وقت مبكر ولا داعي لتأخير إقامة الصلة بين البيت والمدرسة إلى حين إلتحاق الطفل بالمدرسة إذ كلما وصل الآباء إلى حقائق جديدة عن نمو الأطفال في وقت مبكر كان توجيههم للأبناء أفضل. ولقد أثبتت الدراسات المتصلة بهذا الموضوع أن إسهام الآباء في تلك البرامج جعلهم أكثر قدرة على أداء ما يطلب منهم إزاء أبنائهم، كما أنهم أصبحوا أكثر تعاطفاً مع مطالب المعلمين.

وما دام الأمر كذلك، فإن على المدارس أن تبذل قصارى جهدها لوضع البرامج الفعالة لتثقيف الآباء، وتوثيق عرى الصلة بين البيت والمدرسة. وتبصر الآباء بدورهم في تربية أطفالهم أمر بالغ الأهمية بحيث لا يصح تأخيره إلى ما بعد الزواج وعليه فإن المنهاج المدرسي لا بد وأن يشتمل على مواد توصل إلى هذا الهدف. ولكي تكون برامج المدارس أكثر فاعلية، فإنه يستحسن اشتراك الآباء في تنفيذها بصورة أو بأخرى.

**العلاقة الإيجابية بين نجاح الأبناء وثقافة الآباء.**

لا يقصد بالأب المثقف هنا، ذاك الذي يحصل على مؤهل جامعي أو شهادة دراسية معينة. إنه بكل بساطة ذلك الأب الذي يظهر اهتماماً بطفله ويعي حقيقة التغييرات التي يمر بها – إنه باختصار الأب الذي يوفر لطفله خبرات هادفة.

قد يرغب معظم بل جميع الآباء في أن ينمو أطفالهم نمواً سليماً. ولكن مجرد الرغبة لا تحقق ما يصبون إليه فنمو الأطفال يستدعي وجود تربية صحيحة ولا يستطيع الأب مساعدة طفله على النمو السليم، إلا إذا عرف نفسه أولاً، ثم في الوقت ذاته عرف خصائص طفله، والإنسان الذي لا يعرف حدود إمكاناته يخطئ في توجيه غيره ومن الأساليب التي يميل الآباء المثقفون إلى إستخدامها.

1. الإصغاء إلى الأبناء وملاحظة ما يقومون به من تصرفات.
2. الإجابة على الأشياء التي يطرحونها خاصة تلك التي تنمي فيهم القدرة على التفكير.
3. إظهار الاهتمام بما يقومون به من أعمال.
4. القراءة من أجل تسليتهم وتسلية أبنائهم.
5. تبصير الأطفال بما يجري حولهم وتشجيعهم على حب الاستطلاع.
6. إثابة الأطفال على المحاولات الناجحة، لأن ذلك يعمل على بناء فكرة قبول الطفل لذاته.

**القضية الثانية: مرحلة الضياع المدرسي لدى الأطفال**

يمر الطفل بمراحل متعددة ونزوات مختلفة يضيع أثناءها فلا يركز اختياره وتهتز الصور أمامه فلا يكاد يرى ما يهديه إلى الطريق السوي، ويزيد من تعقيد مرحلة الاختيار هذه ما يجده من والديه من عدم مبالاة أو أدنى اهتمام لتوجيهه ونصحه.

فالطفل عندما ينهي مرحلة الدراسة الابتدائية ويدخل في المرحلة الإعدادية يبدأ في الانفتاح الاجتماعي ويشعر بشيء من الزهو وبأنه بلغ مبلغا كبيرا من الاعتداد بالنفس ويفكر في أن حماية وتوجيه أسرته تنتهي عند هذا الحد، فيرى أنه رجل سوي يستطيع بمفرده حل جميع المعضلات التي تواجهه.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وموقف الآباء من هذه المرحلة إما تفريط أو إفراط . فتفريط بأن يهملوا التربية ويتركوا الحبل على الغارب.... أو إفراط بأن يتعنتوا في التربية مما يخلق التعقيد النفسي والكبت الاجتماعي لدى الطفل.

وتعالوا نناقش التفريط.

**أولا:** نجد الحرص على الطفل وهو في مرحلة الدراسة الابتدائية والعطف عليه وتدليله تدليلا يفوق الحد المعقول ومراقبته في ذهابه وإيابه، ثم إذا دخل المرحلة الموالية ترك له الحبل على الغارب، واعتبروه في نظرهم قادرا على توجيه نفسه نحو الطريق السوي، ومن هنا يبدأ هذا الطفل مرحلة الضياع، والضياع الذي سيمتد معه أو ربما قد ينتهي بمجرد نصح والديه أو أقاربه مستقبلا لا ينطبق على كل الأطفال.

وينطلق الطفل ليشبع نزواته ورغباته بعيدا عن أنظار أهله، ويلتف حوله القرناء، والكل يعلم ما يتمتع به قرناء السوء من لباقة في الحديث وتملق ونفاق يشعر الطفل بأنه ذلك الفارس المنتظر ويسقط في حبائل الصياد دون أن يشعر بسقطته، ويبدأ من أول الطريق المنحرف فتمتد يد أحد أصدقائه إليه بسيجارة (تزيل الهم وتقوي الفكر) ثم بتشجيع للهروب من المدرسة والقفز من فوق الجدران وجلسات المفاخرة بهذا المسلك، وما يوغرون به صدره من أنه يجب أن يوقف المدرس والمدير عند حدودهم.

ومن سيجارة واحدة إلى علبة سجائر إلى علبة فاخرة وولاعة يحملها في جيبه يفاخر بها الأقران، إلى (الشيشة) ليمسك بها في فخر واعتزاز ويبدأ بالانزلاق إلى ما هو أخطر وأشد تأثيرا، فقد يتعاطى المخدرات ويصبح مدمنا وهذا شيء طبيعي في مرحلة الضياع هذه والتي سببها الأب والأم.

ولا أقول إن الأب والأم هما السبب في كل الحالات فقد ينحرف الفتى برغم ما يحاط به من حسن التأديب والرعاية والإصلاح وذلك من تأثير المجتمع المدرسي وغيره من المؤثرات.

**ثانيا:** قضية الإفراط في التربية للطفل في هذه المرحلة، فنجد القسوة المتناهية وعدم فهم موقف الطفل وما يجب أن يكون عليه من واجبات تجاه البيت والمدرسة والمجتمع، فتجد الأب والأم متحجرين عندما يطلب منهما ابنهما شيئا – بالطبع ليس ماديا – يصران على موقفهما ويرفضان النقاش مطلقا ويفرضان عليه أحكاما جائرة (في نظرهما عادلة) يعيش الطفل في دوامة لا يهتدي إلى أي طريق سوي طريق العصيان والخروج عن الطاعة ويتخذ القرار المر وهو التهرب من واقعه المؤلم، فعندما تواتيه الفرصة للخروج من المنزل يأخذ في إشباع رغباته باندفاع وطيش ويتمرد على كل الأخلاقيات والقيم وعندما يعود إلى المنزل تكون قد اختمرت في ذهنه فكرة العقاب الذي سيناله ثم يعاود نشاطه المتمرد متى واتته الفرصة مرة أخرى، وهكذا نجد النتيجة لهذا الكبت والقسوة تكون بعكس ما أراد الأبوان.

ومن هنا نجد أن النسبة الكبرى في كلا الأمرين تقع على كاهل الأبوين فمنهما كان التفريط والإفراط، وليس هناك من حل إلا أن يقف المربون موقفا وسطا، فيجب أن يشعروا الطفل بأنه أصبح قادرا على الاتصال بالآخرين بنفسه، وبأنه ذلك الذكي الذي يستطيع الاعتماد على نفسه، وكذلك يغرسوا في فرارة نفسه أنه لازال داخل نطاق الأسرة، وأنه لازالت تنطبق عليه أحكامها. كما يجب عليه طلب مشورة أهله وأخذ مواقفهم ورأيهم، ومن هنا يغرسون فيه العزة والكرامة وكذلك التقدير والاحترام فيطيب الغرس ويطيب بعده الثمر.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**القضية الثالثة : فهم المتعلم عند علماء المسلمين**

أدرك المربون المسلمون في وقت مبكر أن فهم الطفل أساس لنجاح تعليمه. قال ابن سينا في القانون: "ويجب أن تكون العناية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي وذلك بأن يحفظ كي لا يعرض له غضب شديد أو خوف أو غم أو سهر وذلك بأن يتأمل كل وقت وما الذي يشتهيه عليه. وفي ذلك منفعتان أحدهما لنفسه والثانية لبدنه إذ ينشأ من طفولته حسن الأخلاق تبعا لمزاجه وحسن الأخلاق يحفظ الصحة للنفس والبدن جميعا". وانطلاقا من هذه المطالبة بوجوب فهم الطفل اشترطوا البدء بتفهم بيئته الاجتماعية وبخاصة بيئته العائلية. جاء في كتاب "الإرشاد والتعليم": (والطفل صورة عائلته فكل ما فيها من خير وشر وكل ما سمعه ورآه ينطبع فيه ولهذا كان جهد الأمهات من أهم الأمور في تربية الأبناء ومن ربى ماله ولم يرب ولده فقد ضيع الولد والثروة. وتربية الفضائل لا يمكن أن تكتسب في المدارس بل تجب ممارستها مع الطفل من يوم يعي الخطاب ويفهم الكلام وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة هم طبعا الذين يعاشرون الطفل معاشرة مستمرة، والذين يؤثرون عليه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم ثم إذا أضفنا ما تحتاجه هذه التربية من العناء والصبر والحنو والمحبة الخالصة حكمنا بأنها لا تتم بواسطة من أنتجتهم الفطرة الإلهية لهذه المأمورية العالية وهم الوالدان. ولم يفتهم أثر الأقران بعضهم في بعض ودور العلاقات الشخصية التي يدخل فيها الطفل مع أصحابه باعتبارها مصدرا مهما من مصادر التأثير في نشأته ونموه النفسي والأخلاقي فطالبوا أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من الأولاد حسنة آدابهم مرضية عادتهم فان الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس. وانفراد الصبي الواحد المؤدب أجلب الأشياء إلى ضجرها فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنفى السآمة وأبقى للنشاط وأحرص للصبي على التعلم والتخرج فانه يباهي الصبيان، والمحادثة تفند انشراح العقل وتحل منعقد الفهم لأن كل واحد في أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه والتعجب منه سببا لحفظه وداعيا إلى التحدث به.

ثم انه يترافقون ويتعاوضون الزيارة ويتكارمون ويتبادلون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة وفي ذلك تهيب لأخلاقه وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم).

على أن العناية ببيئة الطفل العائلية والمدرسية لم تقدهم إلى التزمت في مراقبة الطفل وحرمانه من حقوقه الطبيعية في اللعب والمرح. روي أن أبا القاسم عبد الله بن محمد سأل أحد معلمي عصره وهو معيقب بن أبي الأزهر قال له: ما حال صبيانكم في الكتاب؟ فأجاب معيقب: ولع باللعب كثير. فقال أبو القاسم: إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم، وقال مؤلف كتاب "الإرشاد والتعليم": (ومن العجب أن يفرح الناس بالأطفال القليلي الحركة البعيدين عن اللعب ويعتبرونهم عقلاء متزنين ويتوسموا فيهم الخير، ولم يعلموا أن الأطفال الذين طبعوا على السكون وعدم الحركة لابد أن يكونوا مصابين بأمراض جسمية أو عقلية بحيث ينتهي أمرهم إلى ضعف الحياة وكدر العيش إذا لم يأخذوا من الصغر بالرياضة والحركة وأبنية أجسامهم). ومن لطائف ما اهتدوا إليه في هذا المجال هو وعيهم لحساسية الطفل ضد التمييز في المعاملة بينه وبين أقرانه لذلك طلب ابن جماعة المعلمين ألا يظهروا "للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عندهم في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة فان ذلك ربما يوحش منهم الصدر وينفر القلب. فان كان بعضهم أكثر تحصيلا أو ابلغ اجتهادا أو أحسن أدبا فأظهروا إكرامه وتفضيله لتلك الأسباب فلا بأس بذلك لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات". كذلك أدركوا أن العقوبة التربوية يجب أن تكون عقوبة مربية بمعنى أنها يجب أن تكون ذات طبيعة بناءة تتوخى الإصلاح وليس تدمير إحساس التلميذ بكرامته واحترامه لنفسه. ومن هنا اعترف الغزالي للمعلم بحقه في زجر المتعلم عن سوء الأخلاق ولكن بطريق التعويض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم ويهيج الحرص على الأضرار. وذهب ابن سينا مذهبا مقاربا في العقوبة التربوية حين طالب المعلم أن يجنب المتعلم مقابح الأخلاق وينكب عنه معايب العادات بالترهيب والترغيب والإيناس والايحاش وبالإعراض والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان وافيا. فان احتاج إلى الاستعانة باليد لم يحجم عنها وليكن أول الضرب قليلا موجعا كما أشار به الحكماء فان الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به. وفي نفس هذا الإطار من التفكير رتب ابن جماعة العقوبة التربوية على أربع درجات من الشدة فإذا صدر من التلميذ ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه أو ما يؤدي إلى فساد حال أو ترك اشتغال أو إساءة أدب في حق الشيخ أو غيره أو كثرة كلام لغير توجيه أو فائدة أو حرص على كثرة الكلام أو معاشرة من لا تليق عشرته أو غير ذلك اتخذ المعلم الإجراءات التالية:

- عرض بالنهي عن ذلك وبحضور من صدر منه غير معرض به ولا معين له.
- فان لم ينتهي نهاه عن ذلك سرا ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها.
- فان لم ينتهي نهاه عن ذلك جهرا ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ويتأدب كل سامع.
- فان لم ينتهي فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع ولاسيما إذا خاف على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**الخاتمة**

يتعلم الطفل أشياء كثيرة قبل التحاقه بالمدرسة، فهو على سبيل المثال يتعلم اللغة وكيفية تناول الطعام، ومدى قبول الآخرين له كعضو في الأسرة والمجتمع. وعليه فإن الآباء هم الذين يسهمون إسهاماً كبيراً في تعليم أول منهاج يوضع لتربية الطفل في هذه الحياة. وحيث أن الحياة المعاصرة تفرض على الوالدين جهداً أكبر نحو أبنائهم، فإن المدارس والجامعات بدأت في تنفيذ البرامج التي تهدف إلى مساعدة الوالدين وتحسين التربية داخل الأسرة. وما من شك في أن التعاون بين البيت والمدرسة يساعد على نمو الأطفال نمواً سليماً

كان هذا ملخصاً لأهم المبادئ المتصلة بتربية الأبناء كما يراها باحثان غربيان، وأهم ما أكدا عليه: هو خطورة الدور الذي يلعبه الأب والأم في حياة الطفل، وضرورة التعاون بين البيت والمدرسة من أجل إسعاده وحسن تربيته.

والدور الحاسم الذي يلعبه الآباء في تربية الطفل يظهر جلياً في حديث الفطرة الذي يبين أن التربية السيئة من قبل الوالدين تفسد على الطفل فطرته الطيبة فتحرفه عن النمو السليم في مجال العقيدة. كما أن تأثير الوالدين على حياة الطفل يتضح من حديث آخر يحث المسلم على حسن اختيار الزوجة، إذ يقول المصطفى عليه السلام:

"تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس"[1].

أي أن اهتمام الإسلام بالطفل يبدأ حتى قبل مرحلة الزواج، ومعنى ذلك أن المناهج المدرسية لا بد وأن تشتمل على الحقائق والاتجاهات التي تعين الطالب على حسن اختيار شريكة حياته، وتبصره بالمسؤوليات الثقال المترتبة على تكوين الأسرة وما من شك في أن هذه القضية يجب أن تحظى باهتمام أكبر في المجتمع المسلم الذي يحث على الزواج المبكر ويرغب فيه.

بيد أن المتأمل في واقع التربية في معظم البلاد الإسلامية، يجد أن المسلمين قد قصروا كثيراً في العمل على ترجمة بعض المبادئ التربوية إلى واقع عملي.

فالمناهج المدرسية لا تعالج المشكلات الاجتماعية ومنها مشكلات الأسرة بصورة جادة ومجالس الآباء والمعلمين قائمة من حيث الشكل، لكنها مفرغة من المضمون. إذ أن غالبية الآباء يقصرون في ذهابهم إلى المدرسة، عندما يستدعون من قبل مدير المدرسة لمعالجة سوء تصرف بدر من أبنائهم، وحيدا لو قامت مراكز البحوث التربوية في البلاد الإسلامية بتقصي الأسباب التي تحول دون إسهام الآباء في توجيه سير المدرسة والتعاون معها واقتراح الحلول المناسبة لها. فنحن لا نحتاج إلى دراسات تؤكد لنا صحة ما تعتقد به، بل إلى دراسات تيسر لنا سبل تحقيق تلك المبادئ والمعتقدات.

وإذا كانت دراسة البرامج التي تستخدم في بعض البلدان للوصول إلى أهداف مشابهة أمراً مفيداً، إلا أنه يجب التأكيد على أن تبني تلك البرامج في مجتمعاتنا أمر غير مرغوب فيه، فالأسرة مؤسسة اجتماعية، يتنفس أعضاؤها في بيئة اجتماعية معينة تختلف باختلاف الثقافات. ومن هنا فإن طبيعة المشاكل تختلف من ثقافة الأخرى، ففي المجتمع الذي يؤكد على الفضيلة ويحث على الزواج المبكر يعتبر غلاء المهور مشكلة خطيرة لا بد من التصدي لها . ويختلف هذا بطبيعة الحال عن المجتمع الغربي الذي لا يعير الفضيلة بمفهومها الإسلامي أدنى اهتمام. ومن هنا فإن مراكز البحوث التربوية المعنية بتربية الأسرة تربية قوية مطالبة بدراسة واقع الأسرة في المجتمع المسلم وتصميم البرامج الملائمة لها.

[1] ابن ماجة: كتاب النكاح، باب الأكفاء 350/2.


© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**المصادر والمراجع:**


- القرآن الكريم
- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد، القاهرة، دار الشعب، بدون: ط.
- الارشاد والتعليم، محمد بدر الدين الحلبي، دار الوفاق، بدون: ط
- التربية الاسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، ط 6، القاهرة، أحمد شلبي.
- تأصيل تربية المعلم، بشير حاتم التوم، مكة المكرمة، ط 1981.
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة بدر الدين ابن أبي اسحاق ابراهيم الكناني، دار الكتب العلمية 1354هـ، عالم النشر: 1354هـ.
- التربية والمجتمع في العالم الاسلامي، محمد وحي الله خان، جدة عكاظ، جامعة الملك عبد العزيز، ط 1984م.
- تربية الأولاد، محمد متولي الشعراوي، دار التوفيقية للتراث، ط 2011.
- جمالية الدين، فريد الأنصاري، دار السلام، ط 2009.
- التربية: قديمها وحديثها، فاخر عاقل، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1974م.
- ركائز الايمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، دار الشروق ط: 2005.
- سنن، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1388.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، بيروت دار الفكر، ط: 1401هـ.
- فلسفة التربية، تعريب محمد لبيب النجيحي، القاهرة، دار النهضة العربية، ط 1955م.
- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تعريف أنيس فريحة، ومراجعة وليد عرفات، بيروت، دار الثقافة،1961م.
- مدونة القيم في القرآن والسنة، محمد بلبشير الحسين، طوب بريس، الرباط، ط 2، 2014.
- مجتمع المومنين من هدي القرآن، عبد الكريم غلاب، ط: 1، 2005م
- منهاج القاصدين، لابن الجوزي، عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، تحقيق كامل محمد الخراط، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر 1431-2010
- القانون في الطب، الحسين بن عبد الله، أبو علي المعروف بابن سينا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق وشرح: الأستاذ الدكتور حسان جعفر، بدون: ط
- نحو تربية مؤمنة، محمد فاصل الجمالي، الشركة التونسية، للتوزيع، ط: 1977م.



© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/